[178] يعقوب)، جوابا للدعاء بمعنى إن رزقتني ولدا يرث، لا صفة ليكون زكريا قد سأل ربه وليا وارثا. فما طلبه النبي من ربه تحقق وهو الولد وتوريثه المال أو النبوة لم يكن داخلا في جملة ما سأل ربه وإنما كان لازما لما رجاه في معتقد زكريا عليه السلام. ويختلف تقدير العبارة صفة عن تقديرها جوابا من النواحي اللفظية في الاعراب، لأن الفعل إذا كان صفة فهو مرفوع، وإذا كان جوابا يتعين جزمه. وقد ورد في قراءته (1) كلا الوجهين. وإذا لا حظنا قصة زكريا في موضعها القرآني الاخر وجدنا أنه لم يسأل ربه إلا ذرية طيبة، فقد قال تبارك وتعالى في سورة آل عمران: (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) (2). وأفضل الأساليب في فهم القرآن ما كان منه مركزا على القرآن (3) نفسه، وعلى هذا فنفهم من هذه الاية أن زكريا كان مقتصدا في دعائه ولم يطلب من ربه إلا ذرية طيبة، وقد جمع القرآن الكريم دعاء زكريا في جملة واحدة تارة وجعل لكل من الذرية ووصفها دعوة مستقلة في موضع آخر فكانت جملة هب لي من لدنك وليا طلبا للذرية، وجملة واجعله ربي رضيا دعوة بأن تكون الذرية طيبة. وإذا جمعنا هاتين الجملتين أدت نفس المعنى

_____ (1) راجع: املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعتراب والقراءات / أبي البقاء العكبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة / 1969، تفسير مجمع البيان / الطبرسي 6: 647. الكشاف / الزمخشري 3: 5. (2) آل عمران / 38. (3) راجع الأتقان / السيوطي 4: 200، مقدمة في اصول التفسير / ابن تيمية.

_____